بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

أصبح بسام الشكعة رئيسًا لبلدية مدينة نابلس عام ١٩٧٦ وفي عام ١٩٧٧ حدثت واقعتان مثلتا ضغطًا نفسيًا على الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية أكثر من أي وقت آخر مضى ، فقد صعد الجناح اليميني المتشدد إلى السلطة في إسرائيل عندما أصبح مناحم بيجن زعيم حزب الليكود رئيسًا للوزراء في تحالف مع حزب جيروت .

كان بيجن قائدًا لجماعة صهيونية إرهابية مسئولة عن حالات قتل واختطاف أعداد لاحصر لها من الفلسطينيين في الأربعينات بالإضافة إلى أنه كان مسئولاً عن مذبحة دير ياسين وكذا كان مسئولاً عن عملية نسف فندق الملك داود في القدس . وكان كثيرًا ما يتحدث عن قادة منظمة التحرير الفلسطينية كعصابة للقتلة مقارنًا بينهم وبين النازيين – كما رفض بيجن بعد زيارة السادات رئيس مصر إلى القدس عام ١٩٧٧ – رفض تمامًا مشاركة الفلسطينيين فيما سمي مباحثات السلام التي جرت مع مصر بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية . وقد رفض الفلسطينيون (وهذا أمر طبيعي) سلطة الحكم الذاتي التي اقترحها بيجن .

ليس فقط لأنهم لم يأخذوا رأيهم فيها لكن لأنها كانت تعني بالنسبة لهم نوعًا من الحكم الذاتي أقل مما كان يتمتع به اليهود في بولندا الوطن الذي فيه ولد وعاش مناحم بيجن قبل أن يأتي إلى فلسطين .

الحكم الذاتي كان يعني سلطة على الناس لا على الأرض . لهذا فقد كان من المتوقع من الفلسطينيين أن يظلوا تحت الحكم العسكري الإسرائيلي . كممثلين للشعب الفلسطيني . ظل عمد مدن الضفة الغربية يعانون من تعنت السلطات الإسرائيلية . يقول الشكعة : أنهم من جانبهم يؤكدون للعالم كم هي رائعة الديمقراطية التي منحوها لنا ومن ناحية أخرى يحاولون بكل طريقة ممكنة أن

يسكتوا أصواتنا ويقيدوا حرياتنا نحن الذين تم انتخابنا بواسطة شعبنا .

لم يفعلوا ذلك ؟

لأن رؤساء البلديات يضعون في المقدمة مصالح ناخبيهم من أفراد الشعب لا مساندة الأهداف الصهيونية .

ويعطي مثالاً للموقف الصهيوني الغريب والمتعنت حين يصف كيف تم معاقبة عدد من قيادات صحفيين الشعب والفجر الذين حددت إقامتهم وصاروا لا يقدرون على الحركة خارج مدنهم بسبب اتهامهم بالقيام بأعمال مضادة للاحتلال ما هي جريمتهم؟ لقد فشلوا في التوافق مع قوانين الرقابة على النشر . هكذا تقول السلطات العسكرية . وكانوا مدانين بنشر مواد ليست ممنوعة ولكنها معادية لإسرائيل .

ويقول الشكعة : بعبارة أخرى أنهم يريدون منا أن نكون صهيونيين أكثر من الصهاينة أنفسهم .

في أول يونيو ١٩٨٠ منعت الحكومة الإسرائيلية جريدتي الشعب والفجر من التوزيع في الضفة الغربية وغزة بتهمة تحريض السكان ضد الاحتلال كما زعمت السلطات الصهيونية وفي بيان مشترك لرئيس تحرير الجريدتين أعلنا أن الصحيفتين تعرضتا لمع التوزيع لأنهما ضد الحكم الذاتي ، لكن أصواتنا مطالبين بقيام دولة فلسطينية حرة ومستقلة تقودها منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد كان يبدو قبل تطبيق خطة الحكم الذاتي التي تتسم بالسخف والغباء أن الأحوال في الضفة الغربية لم يكن من الممكن أن تتدهور أكثر مما هي عليه ولكن حالة اليأس وفقدان الأمل التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال البربري الإسرائيلي تزايدت حدتها .

....

تعد نابلس أكبر مدينة في الضفة الغربية . يقول بسام الشكعة أن تعدادها يبلغ ١٠٥ ألف نسمة ولكن الصهاينة يدعون أنه يسكنها فقط ٥٧ ألف نسمة . ولكن هذا لا يدعو للدهشة لأن السلطات الإسرائيلية تعمل بشكل أو بآخر على أن تخفض من أعداد السكان الفلسطينيين وفي نفس الوقت تضاعف من أعداد سكان المستوطنات من اليهود في الضفة الغربية بينما الكثيرون منهم لديهم مساكنهم في تل أبيب أو القدس ولهم مساكن إضافية في الضفة وهذا يهدف إلى زيادة الوجود اليهودي هناك . تعد نابلس أيضًا من وجهة النظر الإسرائيلية أكثر المدن العربية راديكالية .

وإذا ما تتبعنا حالة الاحتجاج والرفض التي حدثت كنتيجة لبناء المستوطنات اليهودية في أراضي الضفة المحتلة من أهالي نابلس .

يقول بسام الشكعة: هذه أرضنا ولن نسمح للاستيطان الإسرائيلي أن يحرمنا منها . بعدما قام السكان الفلسطينيون بمظاهرة سلمية في ١٧ يونيو عام ١٩٧٩ أعلن رئيس بلدية نابلس : نحن استخدمنا الوسائل الديمقراطية للتعبير والمطالبة بحقوقنا بينما المحتلون قد برهنوا أن وسائلهم ليست ديمقراطية . إن شعبنا لن يسكت حين يرى أرضه وحقوقه تهدر .

اعتاد بسام الشكعة في عمله اليومي أن يصل إلى مكتبه الساعة السابعة والنصف صباحًا . وأن يعمل حتى الواحدة والنصف ظهرًا . وفي فترة ما بعد الظهر كان يعقد جلسات ولقاءات مع أعضاء بلدية نابلس . وفي المساء كان سكان نابلس من المواطنين يتوافدون إلى منزله . يطلبون المساعدة إزاء المشكلات التي تنجم من الاحتلال الإسرائيلي .

تزايد الغضب والاستياء الفلسطيني من معاهدة كامب ديفيد وكذا مقترحات الحكم الذاتي مما ترتب عليه تزايد تيار المقاومة ومما أدى أيضًا إلى مزيدًا من المواجهات حيث تعرضت الكثير من منازل الفلسطينيين في الضفة للنسف أو التدمير . وكما جرى في الماضي فإن الصحافة الغربية عجزت عن تقديم الحقائق المروعة .

في بداية عام ١٩٧٩ تم نسف منزل عائلة نماري في منطقة وادي الجوز بالقدس . هذا لأن نصير أفندي أمضى ليلة بالمنزل (الذي هو فيلا كبيرة) وعندما قبض عليه تم القبض على نماري وزوجته وكذا والده البالغ من العمر سبعين عامًا . وسجنوا وفي نفس الوقت كان هناك منزل مؤجر من عائلة أكاري للسيد : رفيق الخطيب على جبل الزيتون فسدّت الأبواب والشبابيك بالخرسانة وتم نسف المنزل . هذا في الوقت الذي أزيلت فيه ثلاثة منازل في نابلس . واحد من هذه المنازل كان يملكها عيسى شكشير الذي سجن لمدة عشرين عامًا بتهمة حيازة متفجرات وألقى بزوجته البالغة من العمر ١٩ عامًا ألقى بها وأطفالها الصغار إلى الشارع حيث أصبحوا في العراء من الجوانب السيئة في هذه العقوبات البربرية أن ملاك المنازل لا يمنحون الفرصة كي يجدوا لهم مأوى آخر أو ليبدو أي معارضة تجاه هذه الأحكام التي كانت تطبق عليهم في الحال .

كمثال لهذه الحالات .. تم نسف فندق في رام الله لمجرد الشك في أن مشتبهًا به من الفلسطينيين أقام في هذا الفندق .

الكثيرون من الفلسطينيين الذين دمرت منازلهم يقيمون في أكواخ أقاموها على أنقاض منازلهم . والعديد منهم ليس لهم أقارب يقيمون معهم فأرغموا على أن يبقوا في العراء حتى في فصل الشتاء .

ينبغي التأكيد على أنه في معظم هذه الحالات للفلسطينيين الذين قبض عليهم

بتهم أمنية يجري القبض والاعتقال بعد إجبارهم على الاعتراف بصحة التهم المنسوبة إليهم .

نشرت ذلك الصحافة الإسرائيلية بعد وقوع حالات عديدة من الاعتقالات للفلسطينيين الذين عبروا عن ردود أفعالهم تجاه سلطة الحكم الذاتي .

الحالة التي نرويها تتعلق بشرطية إسرائيلية فقدت بعض الوثائق الخاصة بها . وحتى تخفي الواقعة اخترعت قصة عن سرقة حقيبة اليد التي كانت بها هذه الوثائق .

قالت الشرطية في محضر تحقيق معها أنها تعرفت إلى شاب فلسطيني وقالت أنه هو اللص الذي اختطف حقيبة اليد الخاصة بها . وبعد القبض عليه وتعرضه للتعذيب لمدة يومين اعترف بالجريمة وحين أحست الشرطية بالندم اعترفت أنها كانت كاذبة .

لا توجد عائلات فلسطينية في الضفة الغربية لم تواجه المتاعب الجمة على أيدي الإسرائيليين .

يقول الشكعة : كل إنسان مقيم في الضفة لديه أقارب أو أصدقاء سجنوا أو تعرضوا للتعذيب أو طردوا أو تعرضوا للضرب أو دمرت مساكنهم أو صودرت أراضيهم أو سممت محاصيلهم .

الغضب الإسرائيلي تجاه رفض الفلسطينيين لسلطة الحكم الذاتي يتخذ أشكالاً عديدة . السلطات العسكرية تبدأ بإلقاء القبض على الفلسطينيين لأسباب تافهة مثل عدم حمل بطاقات الهوية .

كثير من الفلسطينيين اعتقلوا لمجرد أنهم قالوا أن فلسطين وطنهم . هناك واقعة لطالب فلسطيني كان عائدًا من القدس الشرقية بعد زيارة صديق له هناك حوالي الساعة الحادية عشر مساءً . وحين مر بجوار مكتب البريد بشارع الرشيد أوقفه

اثنان من رجال الشرطة العسكرية وسألاه : ماذا كان يفعل هناك فأجاب بأن له الحق أن يذهب إلى حيث يشاء . هذا وطني . فقال له واحد من الشرطة : هذا ليس وطنك . إنه وطننا نحن . فقال الطالب الفلسطيني : يبدو لي من الطريقة التي تتكلم بها أنك قادم من المغرب . هذا ليس وطنك . بل وطننا نحن .

في الحال تم القبض عليه ، وأرسل للسجن لمدة ستة أشهر . وفي نهاية الشهور الستة تم إخباره أنه سيطلق سراحه إذا ما أخبرهم بأنشطة صديقه .

في غضب أعلن رفض أن يصبح عميلاً فزج به في السجن لمدة ستة أشهر أخرى وحين أطلق سراحه بعد ذلك حين انتهت مدة السجن أخبر أنه لو تعرض لهذا الموقف مرة أخرى سوف يقدم إلى المحاكمة التي قد تحكم عليه بالسجن مدى الحياة .

◆◆◆